زاهد محمد والكرخي

باسم عبد الحميد حمودي

هي علاقة بين شاعرين استمرت طويلا وعبر عقود وانتجت لنا كتابا في الشعر الشعبي والسيرة الذاتية للملا عبود الكرخي. الدكتور زاهد محمد زهدي شاعر معروف في خمسينيات القرن العشرين اشتهر ببرنامجه الاذاعي اليومي في الشعر الشعبي وبقصائده الوطنية الهادفة وبمسلسله الاذاعي (غيدة وحمد) الذي امتاز ببطاقة شعرية عالية.

وهو رجل من مواليد قضاء الحي في عشرينيات القرن الماضي، عانى السجن والتشريد في العهد الملكي، ووجد في قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ المجال واسعا لان يبدع وينتج ويكتب اغانيه وقصائده الجميلة للثورة او هكذا اعتقد هو وملايين غيره.

وعندما ساءت اوضاع العراق السياسية بعد انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣ وجد زاهد محمد الفرصة مناسبة للرحيل والدراسة في دول اوروبا الشرقية (جيكوسلوفاكيا) حيث اكمل دراسة الاقتصاد.

تنقل زاهد محمد بين اذربيجان والاتحاد السوفيتي ليدون فصول كتابه المهم عن حياة وادب الملا عبود الذي صدر عام ١٩٧١ ببغداد عن المركز الفولكلوري ببغداد تحت عنوان (دراسات عن الملا عبود الكرخي).

تضمن الكتاب عدة فصول منها، سيرة الكرخي ، شعر الكرخي بين الريف والمدينة . شعر الكرخي بين العامية والفصحى . الكرخي شاعراً وطنياً . الكرخي ناقداً اجتماعياً . المرأة العراقية في شعر الكرخي . ملحمة المجرشة..هل هي كرخية الاصل والنسب . الامثال الشعبية في شعر الكرخي . واخيراً الفصل الطريف الذي كان عنوانه (بين المؤلف والملا عبود) حيث يتعايش زاهد محمد الشاعر مع الشاعر الكرخي عبر مجموعة قصائد اجتماعية ووطنية. للكرخي يعلق عليها زاهد الشاعر شعراً ونثراً.

وقد فقد الوسط الصحفي والثقافي الدكتور زاهد محمد منذ سنوات اذ توفي في قمة عطائه وظلت ذكراه طيبة ما دام للشعر من ذكر والملا عبود (١٨٦١ ـ ١٩٤٦) واحد من عمالقة الشعر الشعبي في العراق عاش حياة عريضة تقلب فيها الزمن من سفر الى استقرار ومن رحيل مع البدو الى مشاركة في حرب عالمية واسر لسنوات الى معرفة بلغات ولغات..!

ومن تجارة فاشلة الى صحافة تقاوم الفساد والاستغلال بلغة شعرية ممتعة تدخل القلب لتعبيرها عن الواقع.

وكان الكرخي صاحب جريدة الكرخ التي كانت تتعرض للتعطيل المستمر بسبب معارضتها لسياسات الحكومات المتوالية زمن الحكم الملكي، ومع ذلك كان الكرخي يحظى باحترام رأس الدولة الشاب الملك غازي وبصداقته وكانا يلتقيان بين فترة واخرى للحوار وتبادل ابيات الشعر البدوي.

وكان الكرخي صحفياً ناجحاً ورجلاً يملك حضوته الخاصة عند وقوفه خلف ميكرفون دار الاذاعة اللاسلكية في الصالحية وعند تقديمه الوانا من شعره للناس عبر الاذاعة.

وقد حدث مرارا ان ابدل القصيدة التي وافق عليها الرقيب الاذاعي بقصيدة اخرى لاذعة منتقده ، وحدث مرات ان سحب الملا عبود سحبا من امام الميكرفون (وكان البث مباشراً صدقاً وليس مفبركاً) وهو يصيح (ياجماعة تره جروني جر) وسط سخط السامعين وضحكهم.

تنوعت اغراض الشعر الكرخي بين غزل ونقد واستذكار وكان مرآة عصره وصوت الطبقات الشعبية المتعبة جداً.

ملا عبود الكرخي

زاهد محمد

الملا عبود الكرخي
بقلم زاهد محمد

الولادة

ولد المرحوم، الملا عبود الكرخي في جانب الكرخ من بغداد ومنه اخذ كنيته التي عرف بها بين الناس، وكان مولده عام ١٨٦١، واسمه الكامل (عبود بن الحاج حسين السهيل) وينتسب الى فرقة (البوطيف) من عشيرة (البوسلطان) التي يتصل نسبها بقبيلة زبيد، من العشائر العراقية المعروفة ومقامها الرئيسي في الشمال من الكوت، واليها تنتسب مدينة الزبيدية الواقعة على ضفة دجلة بين الكوت وبغداد.

كان والد الكرخي ، الحاج حسين السهيل تاجراً واسع الثراء يتاجر بالابل والجلود بين مختلف بلدان الشرق الاوسط، وقد دفع الحاج حسين بولده عبود الى خوض غمار الحياة العملية وهو ما زال صبياً يافعاً لم يكن قد تجاوز بعد الخامسة عشر من عمره.

وهكذا اخذ الفتى يرافق قطارات الابل المصدرة للبيع والحاملة للجلود، يرافقها في رحلات طويلة مرهقة عبر الصحاري والقفار الى ايران والشام ومصر وتركيا وجزيرة العرب.

اما ثقافته وتعليمه ، فيمكن القول ان الكرخي نال قسطاً من التعليم ليس يسيراً بالقياس الى ما كان عليه التعليم في زمانه ، والى ما كان يمكن ان يكون ميسوراً لعامة الناس حينذاك.

ثقافته العامة

تلقى الكرخي اوائل تعليمه على ايدي (الملالي) فيما ندعوه بالكتاتيب ، وهي المدرسة القديمة، حيث تعلم فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وقد ساعده ذلك الاطلاع على ماتيسر له حينذاك من الكتب العربية التي تبحث في شتى العلوم الدينية والادب العربي، كما انه ارتاد بقدر معين حلقات الدرس التي كانت تعقد حينذاك في مساجد بغداد والكاظمية، ومعلوم انه كان لحلقات الدرس هذه أثرها الكبير في الحياة الادبية والثقافية لما كان يدور فيها من احاديث وما يلقى فيها من خطب ومحاضرات يشارك فيها كبار رجال الدين وائمة اللغة والبيان، وفيها كانت تعقد الندوات والمناظرات بين الادباء والشعراء، ويتبارى النقاد ورواة الشعر وحفظة الحديث.

وعلى الرغم من ان هذا القسط من التعليم الذي تلقاه شاعرنا الكرخي، قد يبدو ضئيلاً جدا بالنسبة الى متطلبات أيامنا الراهنة، الا انه ليس يسيراً اذا قيس بمستوى التعليم الذي كان يمكن ان يتوفر لبعض الفئات الميسورة في العراق، اواخر القرن التاسع عشر.

بدايات الشعر

بدأ الشاعر، الملا عبود الكرخي يقرض الشعر وهو ما يزال صبياً يرافق قطارات الابل عبر الصحاري الى مختلف البلدان، ولقد بدأ نظم الشعر في بداية حياته الشاعرية باللهجة البدوية متأثراً بالمحيط الذي وجد نفسه فيه والناس الذين اتصل بهم ورافقهم ومعظمهم من البدو الرحل.

ولقد ظل الكرخي يزاول عمله في تجارة الابل تحت رعاية المرحوم والده حتى بلوغه الخامسة والثلاثين من العمر، حيث توفي والده. رحمه الله. فعاد الى بغداد واستقر فيها ليبدأ مرحلة جديدة من حياته.

وعلى الرغم من ان الملا عبود الكرخي ، قد صرم من عمره عشرين عاماً يعمل في تجارة الابل، الا اننا نلاحظ من خلال التعرف على اثاره انه كان خلال هذه الفترة مقلاً للغاية في شعره البدوي، وان زخم شاعريته الفذة قد تميز بالاندفاع ووفرة العطاء بعد ان استقر ببغداد بمدة طويلة. ولقد كان ذلك امراً طبيعياً بحكم تعقد حياة المدينة وتنوع اسبابها وتميزها بالتجدد المستمر، اضافة الى طابع التحول الذي كانت تنطبع به مختلف مجالات الحياة في المجتمع خلال الفترة التي عاشها الكرخي في المدينة العراقية.

اعمال متعددة

وخلال اقامته في بغداد، مارس الكرخي اعمالاً عديدة ومتنوعة وقد شارك مع بعض العراقيين في تأسيس شركة لنقل المسافرين بين امهات المدن العراقية، وكانت وسائل النقل التي تعتمدها هذه الشركة في اعمالها، تقتصر على العربات التي تجرها الخيول.

ومارس الكرخي ايضاً اعمال التعهدات المختلفة، فكان يتعهد تجهيز الطعام ومواد المعيشة واللوازم الاخرى لبعثة المانية التي كانت تعمل في انشاء خط حديدي بين بغداد وسامراء، وقد ساعده ذلك على كسب قدر حسن من الاطلاع على اللغة الالمانية كسبه من مخالطته للمهندسين والعمال الالمان الذين كانوا يعملون في البعثة المذكورة.

الحرب الاولى

وعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ ، وتورط العراق في معمعاتها بحكم كونه جزءاً من الامبراطورية العثمانية حينذاك، وجهت السلطات العسكرية التركية حملة من العراق ، عبر ايران للمساهمة في الحرب ضد روسيا القيصرية، كجزء من المجهود الحربي العام، ورافق الكرخي هذه الحملة بصفة مترجم ، اضافة الى انه اخذ على عاتقه مهمة تجهيز الحملة او جزء منها تحتاج اليه من اطعمة وارزاق وخيول يستوردها من العراق.

وخلال احدى المعارك التي لانعلم على وجه التحديد اذا كان الكرخي قد شارك فيها، او كان قريباً من ميدانها، وقع الشاعر اسيراً بأيدي الجيش القيصري. وخلال مدة أسره القصيرة ، أتيح له ان يتعلم الكثير من الكلمات والتعابير الروسية التي كان يدخلها احياناً في بعض قصائده. كما كان يفعل ذلك مع الكثير من الكلمات والمصطلحات الفارسية والتركية والكردية والهندية ، والالمانية ايضاً.

وعندما اعلنت الثورة العربية في الحجاز على الحكم التركي في عام ١٩١٦ تمكن الكرخي من الفرار من الأسر ، ومن ثم الانحياز الى جانب الخارجين على الطاعة التركية ، الامر الذي اثار غضب الاتراك عليه فأخذت السلطات تطارده وتسعى الى الظفر به بتهمة الخروج على الوطن الأم.

وهكذا اخذ الشاعر يعيش متنقلاً بين القرى والارياف حتى اعلنت الهدنة وتوقفت الحرب، فعاد الى بغداد بعد ان انحسر عنها ظل الحكم العثماني، ودخلتها جيوش الفاتحين الجدد، الانجليز، وفي عهد الاحتلال الانجليزي ، انشأ الكرخي مزرعتين في منطقة المحمودية قرب بغداد مارس فيهما اعمال الزراعة عدة سنوات.

ويقول ابناء الكرخي انه انفق من اجل اعمار هاتين المزرعتين عشرة الاف من الليرات الذهبية، ما يدل على ان حالته المادية كانت ميسورة حينذاك.

وفي عام ١٩٢٠ اعلنت الثورة الوطنية الكبرى ضد الانجليز، والتي شب اوراها اولا في منطقة الفرات الاوسط، وامتد منها ليشمل العراق من اقصاه الى اقصاه، وليسهم فيها ابناء الشعب جميعاً من العرب والاكراد.

وفي غمار هذه الثورة ، اندفع الكرخي مساهماً بشعره الوطني في الهاب عزائم الناس وتعزيز ثقتهم بالانتصار على المحتلين، ودفعهم الى ميدان الثورة، والتنديد بسلطات الاحتلال الاجنبي.

ولانعلم لأي سبب لم يحاول ورثة الكرخي نشر قصائده المناهضة للاحتلال والتي كان يلقيها بجامع الحيدر خانة ببغداد مثلاً، وقد كان بأمكانهم ان يفعلوا ذلك في الاقل بعد ثورة ١٤ تموز المجيدة.

الكرخي والثورة

ان كل من يدرس تاريخ الشاعرالكرخي ،لاشك في انه قد استجاب دون شك لذلك المد الثوري العارم الذي هب في وجه المحتلين الانكليز، ولايشك في ان الكرخي قد اسهم فعلا بشعره خلال تلك المرحلة العاصفة من تاريخ العراق.

ولقد قيل ان الحاكم العسكري البريطاني في بغداد كان قد دعاه اليه يوماً، وطلب منه ان يتعهد بعدم كتابة الاشعار الحماسية، تلك التي كان يلقيها بجامع الحيدرخانة ، والتي كانت تؤدي الى اهاجة مشاعر الناس وتنبيههم الى بشاعة المستعمر الجديد وتحفزهم الى طلب الاستقلال، ولكن الكرخي اجابه بكل اباء، مصراً على ان يكون الى جانب الشعب ومدافعاً عن حرية الوطن:

"انكم قد الحقتم بنا عارا لابد ان نغسله بدمائنا ، ولابد ان اغسله بقصائدي ، فلا باس ان اكتبها بدمي".

وخلال الحكم الاهلي الذي اعقب الاحتلال البريطاني والادارة العسكرية الاجنبية السافرة، عمل الكرخي مدة طويلة في الصحافة نناهز الستة عشرعاماً، وخلالها اصدر عدة صحف شقت لاول مرة الطريق امام الشعر والفكاهة الشعبية ليحتلا مكاناً لائقاً في دنيا المطبعة والكلمة المطبوعة.

وكانت صحف الكرخي تتعرض بين فترة واخرى للتعطيل وذلك بسب نقده للسلطة وتجاوبه مع الناس فيما كانوا يشعرون به من عسف السلطات الحكومية واستهتارها بمصالح الشعب وخضوعها لمشيئة الاستعمار الاجنبي الذي كان هو الحاكم الحقيقي في البلاد.

الوصية ـ الوفاة

وفي عام ١٩٤٢ / مرض الكرخي واصبح عاجزاً عن كتابة الشعر، ثم لزم داره الا احياناً قليلة. وبعد ان ألح عليه المرض وضعفت قواه، توفي. رحمه الله . في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٦ وهو في الخامسة والثمانين من العمر اذا صح وقوع ميلاده في عام ١٨٦١ . ويذكر من حضر الكرخي في ساعة احتضاره انه قال مخاطباً ابناءه الذين اجتمعوا اليه وهو يحتضر:

"انني مبتهج لكوني عشت خادماً لبلادي، نافعاً أمتي، مناوئاً الانجليز طوال حياتي،وسأكون اكثر ابتهاجاً اذا استطعتم ان تخدموا امتكم وتنفعوها اكثر مني".

المعتقدات الشعبية في شعر الكرخي

ان حقيقة كون هذه المعتقدات الشعبية بدأت تضمحل وتتقلص، توجب على الباحثين في الفولكلور العراقي دراستها وتدوينها والبحث فيها، وعلى الرغم من ان ذلك خارج عن هدف ومطامح هذا الكتاب المكرس للبحث عن الكرخي وشعره ، فقد رايت ان اسجل للملا عبود الكرخي هذه الناحية المهمة في نشاطه الادبي، وهي تناوله للكثير من هذه المعتقدات الشعبية في مختلف اشعاره ، على انه بالغ في احيان كثيرة في تصويرها، وذلك في مجرى محاولته لاقناع الناس بعدم جدواها وبطلانها.

جمع الكرخي في احدى قصائده الطويلة، وهي بعنوان (الخرافات) فيضا من هذه المعتقدات الشعبية الطريفة لدى الناس، فنحن نجد مثلاً ان المرأة الشعبية ، عندما يمرض طفلها وتتدهور حالته الصحية الى درجة الخطر، تلجأ الى اشعال سعفة من سعف النخيل اليابس وتركض بها من دارها . حيثما يقع . الى شاطئ النهر، فاذا ساعدها الحظ في ان تبقى هذه السعفة مشتعلة حتى وصولها حافة النهر ، فأن ذلك مايبعث فيها الثقة والامل بشفاء الطفل. اما اذا انطفأت الشعلة قبل وصولها النهر، فان ذلك يعني في عرفهم ان شعلة حياة الطفل المعني لابد وان تنطفئ فتخلد الى اليأس.

ومثل هذا ايضا الشموع التي تتهادى على كرب النخيل في دجلة حاملة معها آمال وحسرات الامهات اللواتي يعصف بهن القلق على مصير ابنائهن.

فالام التي يمرض ابنها الصغير ، والذي لم يتجاوز الاشهر الاولى من عمره، تعتمد الى ايقاد الشموع ووضعها على كرب النخيل الجاف ، ثم تنزلها الى الماء المنحدر فتمضي مع التيار وشموعها متقدة. والام تنظر اليها من الشاطئ بعين ملؤها الامل وقلب ملؤه الخوف على وليدها العزيز.

وهنا ايضاً تعتقد الأم أن الشموع اذا انطفأت وهي ما تزال في نطاق الرؤية وقبل ان تذوب نهائياً فأن ذلك يعني ان ابنها ميت لامحال.

أما اذا ظلت الشموع موقدة حتى تذوب ، او تتوارى بعيدا عن نطاق النظر،فان ذلك مايبعث على الثقة والامل في ان يظل ابنها على قيد الحياة.

ويلاحظ في هذه المعتقدات ايمانهم الشديد بالشعلة ، او النار على العموم، ما يحمل على الاعتقاد بأن اصل هذه المعتقدات قد انحدر الينا من الفرس القدامى . كما يلاحظ ايضا استعمالهم سعف النخيل وكربه، ايمانا منهم بعطاء شجرة النخل ، وبطول عمرها وفي كونها اكثر الاشجار انتشارا في بلادنا.

ان هذه الاعتقادات التي أشرت اليها، نجدها مصورة في شعر الكرخي ،ورغم انه يطلق على الناس المؤمنين بها صفة الرجعية ، فأنها معتقدات شائعة كثيراً بين الناس الى عهد قريب ، وفي ذلك يقول ...

الرجعية اذا مكموعها تورط
بصخونه وحراره مهلكه وانحط
تشعل سعفه من مهجومها للشط
جباره طويله أطول السعفات
واذا سعفه كصيره ومن فسيل التال
وكبل ما توصل الشط تنطفي في الحال
تكطع من ابنها لازم الآمال
فيما عندها حالاً توفى ومات

ويصور الكرخي في شعره بشكل طريف المراسيم والاعتقادات الشعبية حول (دورة السنة) التي تصادف عيد النيروز ،وهو راس السنة الايرانية، أو (النوروز) أي اليوم الجديد، وهذا اليوم الذي يصادف الواحد والعشرين من اذار ، يحتفل به لدى الشعب الكردي باعتباره عيداً قومياً يخلد ذكرى البطل الكردي (كاوه الحداد) الذي جمع الشعب وثار على الطاغية (الضحاك) محطماً حكمه الظالم.

تقول المعتقدات الشعبية عن دورة راس السنة انها تدور كل عام على احد الحيوانات يظل رمزاً لها طوال ذلك العام. ولكل واحدة من هذه الحيوانات صفات معينة تطبع فيما يعتقدون ذلك العام بطابع الخير أو الشر او التفاؤل او التشاؤم.

ومن طبيعة ذلك الحيوان او من احدى صفاته الغالبة، يتوقع الناس ماسيجري خلال ذلك العام او تلك السنة التي دارت على ذلك الحيوان فدورتها على الضفدع مثلاً دليل على ان ذلك العام سيكون حافلاً بالهرج والمرج والاضطرابات ، لما هو معروف عن الضفادع من نقيقها المستمر وضجيجها الذي لاينقطع حول ضفاف الانهار والمستنقعات المائية التي يعيش فيها.

اما اذا "دارت السنة على القط او (البزون) كما يدعي بلهجتنا الشعبية، فانذ لك دليل على ان العام سيتميز بانعدام الثقة بين الناس وتكاثر السرقات واعمال النهب، وهذا ايضا مشتق من طبيعة القط التي لاتؤتمن في البيت.

وبعكس ذلك اذا دارت السنة على الكلب ، فأن ذلك العام سيكون عام الثقة والطمأنينة والاخلاص في العلاقات الاجتماعية وازدهار الامن في البلاد، لما هو معروف عن الكلب من وفاء لاصحابه وحراسته لاموالهم وممتلكاتهم.

كما نجد ان الناس يفرحون ويبتهجون اذا "دارت" السنة على غزال، لما يتميز به هذا الحيوان الوديع من حسن وجمال يبعث على الأمل والتفاؤل بالخير.

ولقد جاء الكرخي على ذلك كله فضمنه اشعاره . وفي هذا يقول:

اما اذا دارت على عكروك
الهرج والمرج يكثر بالعكد والسوك
واذا صادف سنة ودارت على بزون
العالم دائمي يغدرون ويبوكون
واذا دارت على ظبية غزال يكون
ذاك الوكت كل الناس يرتاحون

ويشير الكرخي كذلك الى الناس في معتقداتهم هذه، انما يميزون في النظر الى هذه الحيوانات بين ذكرها وانثاها.

ويبدوا انهم يستبشرون اكثر اذا كانت انثى ، وخاصة اذا كانت ذات صغار، فالغزالة لديهم احسن من الغزال الذكر ، وانثى الكلب كذلك، خاصة اذا كانت كما يقول الكرخي:

خصوصا اذا كلبه وعندها جريوات

وفي رأيي ، فان ذلك يعود بالدرجة الاولى الى الدور الذي تلعبه النساء في ترويج وابتكار هذه المعتقدات الشعبية. وهذا نابع من واقع كون المرأة ظلت حبيسة الدار لا عمل لها الا ابتكار هذه المعتقدات الطريفة والاعلان عن ايمانها بها تفسيرا لمختلف الظواهر الطبيعية والحياتية التي لم يكن مستواها ومحطيها البيتي الضيق يساعدانها على محاولة أي تفسير لها خارج نطاق هذه الاعتقادات الساذجة ، ويؤكد هذه الحقيقة واقع ان النساء اكثر ايماناً الى حد ما من الرجال بهذه المعتقدات كما يشير الى ذلك المثل الشعبي المعروف..

هذا عقل نسوان!

فالخيرة او الاستخارة في ليالي الجمع مثلا عمل خاص بالمرأة وحدها دون الرجل.. وقد اشار الكرخي الى ذلك في احدى قصائده..

فالمرأة عندما تنوي القيام بعمل ما، كخطبة فتاة لابنها، او عندما يطلب احد يد ابنتها، او اذا ارادت العائلة ان تسافر او تنتقل الى دار جديدة، تجلس المرأة على قارعة الطريق وتلقي بعض الحجارة من يديها الى الشارع ، ثم تنتظر المارة لتسمع من افواههم ما يتحدثون به عرضاً.

ومن احاديث المارة هذه، والتي تأخذها على علاتها وكما سمعتها من افواههم . تقرر موقفها من الامر الذي طلبت الاستخارة فيه ، فتقدم عليه او ترفضه بصورة قاطعة تبعا للتأويلات المختلفة لتلك الاحاديث ، وقد اشار الكرخي الى ذلك بقوله:

وبليلة الجمعة تكعد وتختار المرأة تأخذ الخيره وتذب احجار..

ونجد في اشعار الكرخي تصويراً واضحاً للعلاقة بين حياة الناس في معتقداتهم الشعبية وبين الشمس والقمر. وينحدر هذ الينا من الحياة البدائية الاولى التي عاشها الانسان متحفاً بعجائب الطبيعة وحركة النجوم من دون ان يستطيع ايجاد تفسير لها، الامر الذي جعله في كثير من الاحيان يرد لاحداها، كامل حركة الكون ، معتبراً اياها المحرر والخالق لكل ما هو موجود.

ومن ذلك الاعتقاد الذي يمتد في التاريخ قدم وجود الانسان، بقيت وتشعبت الكثير من المعتقدات الشعبية المتصلة بالكواكب ، وعلى الاخص الشمس والقمر.

فالطفل الذي تبدأ أسنانه اللبنية بالسقوط ،يلقي بالسن المقلوع بوجه الشمس وهو يقول مخاطباً اياها:

اخذي سن الحمار ،
وانطيني سن الغزال

وفي اعتقادهم ان هطول الامطار، علامة على ان الشمس تغسل شعر رأسها في ذلك اليوم ن بدليل انها تحتجب عن الناس خلال فترة هطول المطر، ويضج الناس لدى كل كسوف الشمس او خسوف القمر معللين ذلك بشتى التعليلات الطريفة، مستنتجين ما شاء لهم تصويره الخيال الشعبي الخصب.

فاذا لاحظوا حمرة على قرص الشمس ، تشاءموا من ذلك واعتبروه دليلا على ان الحروب قائمة لامفر منها، بل هي وشيكة الوقوع. وهذا في الواقع انما يعكس رغبتهم وحبهم للسلام وفزعهم من الحرب واعتبارهم لها كارثة انسانية.

اما خسوف القمر، فتصحبه الكثير من المراسيم الشعبية الطريفة فنراهم يملأون الكون ضجيجاً في حين ينصرف العلماء الى مراصدهم الفلكية يتعقبون الخسوف لحظة فلحظة.

اما لدينا ، كما يشير الى ذلك الكرخي في اشعاره، فالناس يهرعون اليالطبول يقرعون عليها، ويستعملون حتى اواني الطبخ والادوات المنزلية لاحداث اكبر ضجة ممكنة وضوضاء في المدينة، وذلك كله بقصد ارهاب (الحوته) التي يعتقدون انها "بلعت القمر" او جزءاً منه، بل ان البعض يلجأ الى اطلاق الرصاص في الهواء، وذلك امعاناً في تخويف هذه الحوتة اللعينة، وتأكيدا على انهم عازمون على استرداد قمرهم الجميل. مرددين خلال ذلك الكثير من الاهازيج الشعبية التي تعبر عن حبهم له واعتزازهم به.

وفي ذلك يقول الكرخي:

الكمر من ينخسف ليله قيامه تصير
عند الناس بين الطرن والجرجير
يدك بالطاسه هذا وذاك بالجفجير
ولهجه عندهم من احسن اللهجات
هذا يصيح يا حوته البلاعه
هدي كمرنه العالي الساعة
وغيره يرتجز ويجول بالقاعة
يضرب من تفكته عدة الطلقات

ومن الاعتقادات الشعبية الاخرى التي نعثر على وصف لها في اشعار الكرخي، الاعتقاد مثلاً بأن رفيف العين اليسرى، انما يعني ان هناك شخصا ما يتحدث عن صاحبها ويذكره بالخير، بينما يعني رفيف العين اليمنى، عكس ذلك.

وعصافير الدار، اذا ما تخاصمت فيما بينها ، فأهل الدار يستبشرون بقدوم ضيف عزيز عليهم ، اذا ما كانوا ينتظرون فعلا قدوم ذلك الضيف.

ووقعت المعركة بين عصافير الدار، فأن مجيئه يصبح امرا لامجال للشك فيه، حتى انهم يهيئون الفراش ويشعلون النار ليكون الشاي جاهزا!

ولايام الاسبوع المختلفة في معتقداتنا الشعبية سمات خاصة ، اشار الكرخي الى بعضها في شعره ، ففي يوم الجمعة لاتغسل المرأة ثياب العائلة، وهم يعتقدون ان الجمعة "ثكيله" وهي لاتصلح للعمل، وواضح ان ذلك تأكيد على اهمية يوم الراحة الاسبوعية هذا وضرورة الخلود فيه الى الهدوء والاستراحة من عناء العمل.

اما الانتقال الى دار اخرى، فيتم عادة يوم الاربعاء ، والزواج ليلة الجمعة ، او ليلة الاثنين ، او الاربعاء احياناً ، وهذا في رأيي ناجم عن تفاؤلهم من شفعية الاشياء وتشاؤمهم من الوحدة وما يتبعها من اعداد وترببة ، يؤكد ذلك تشاؤمهم من العطسة الواحدة واستبشارهم اذا لحقتها الثانية وتشاؤمهم من الثالثة.

والمرأة تمتنع عن كنس ساحة الدار اذا حل موعد الغروب اعتقادا منهم ان ذلك نذير شؤم على اهل الدار، واذا مر الغراب ناعقاً في سماء البيت، تشاءموا من ذلك ورد عليه بالقول المأثور"سجين وملح"..

وكذلك فهم يستبشرون بألوان الطيف الشمسي التي تظهر على الافق بعد هطول المطر، "القوس قزح" ويعتبرونها تعبيراً عن البركة والخير، كما ينظرون الى الغيوم التي تدفعها الرياح بسرعة فيصورون لها ملكا يسوقها بالسياط اسمه "صعصع" ويعتبرون الرعيد المدوي قبيل المطر تعبيرا عن غضب (صعصع) هذا والحاحاً على الغيوم بأن تسرع الى المكان الذي يتوجب عليها ان تمطر فيه.

اذا بالسمه صادف غيمها تلبد
وصارت مزعجه وازداد برق ورعد
بسوك الغيم بالقمجي ملك اسود
اسمه صعصع ويلحكله قمجيات

واذا سافر احد افراد العائلة المحبوبين، رشوا من بعده الماء على عتبة الدار، ايمانا منهم بان الماء رمز للخير والبركة، اما اذا غادرهم شخص ثقيل لايرغبون بعودته اليهم، فهم يلقون من وراءه بثلاث أو سبع حجارات تعبيرا عن شعورهم بثقله عليهم.

واذا خلع شخص ما احذيته على الارض فصارت احدى فردتي الحذاء على الاخرى، فذلك دليل على انه مقبل على سفر.

واذا سافروا وعرض لهم أرنب في الطريق تشاءموا منه بينما يتفاءلون اذا ما عرض لهم ابن آوى ويطمئنون الى ان سفرهم سيكون آمناً ومريحاً. وخلال الطريق ، يدعو المسافر أحد رفاق سفره ليشاركه الطعام، وهذا يعني عندهم انه سيعود الى اهله مبكراً لانه يعبر بذلك عن ثقته بالوصول ، فلا حاجة به الى الطعام.

هذه بعض المعتقدات الشعبية التي عرض لها الكرخي في شعره. وغيرها كثير جداً ما نجده منتشراً في العديد من قصائده.